سامية العمودي تتفوق على مأساتها وتحولها إلى بطولة عالمية تستحق عليها نوط المرأة الشجاعة

الجمعة, ٢٨ أكتوبر ٢٠١١ ١٥:٢٤ هيئة التحرير

تعد المأساة شكلا من أشكال العمل الفني الدرامي وهي كلمة مأخوذة أصلا من كلمة يونانيةكلاسيكية تعني "أغنية الماعز" وهي نوع من الغناء الجنائزي الذي كان يستخدمه الكورس اثناء التضحية بالماعز في المسرح اليوناني القديم أما التراجيديا فتتعلق بإستعراض حالة الحزن والنتائج المؤسفة التي تتعاقب على مشاهد الرواية ولابد لهذه الحالة من ضحية وهو بطل تراجيدي ذو سمات محددة أوضحها أرسطو في كتابه فنالشعر، في أن أفعال الإبطال من شأنها أن تثير الشفقةوالخوفوأن يتبع ذلك تحول البطل المحبوب الفاضل من حالة النجاحوالسعادة، إلي حال الشدة والشقاء وهو أمر يصدم مشاعرنا ويؤذيها ويثير فينا شعور التعاطف الإنساني العام ولقد لعبت الدكتور سامية العمودي استشارية النساء والتوليد الطبيبة والكاتبة السعوديةالتي تترأس حاليا مركزا طبيا باسمها في مدينة جدة على هذا الوتر وإستخدمته إستخداما جيدا في توصيل رسالتها السامية لمرضى سرطان الثدي وتوعيتهن وتوجيههن نحو إكتشاف المرض قبل إستفحاله فإستغلت تجربتها الذاتية كطبيبة ومعايشتها لمرض

سرطان الثدي كمريضة مصابة به وإتقانها للغة القص ككاتبة متمكنة من سياقها ولغتها وسيكولوجيتها لكي تحكي لمرضاها وقرائها تلك التجربة القاسية المريرة التي واجهتها بعناد الطبيب والباحث وبصبر المريض وضعفه ومعاناته وتعلقه بالكثير من الآمال وبتلك اللغة والكتابات السخية المليئة بالشجن والدراسات والإحصاءات العلمية والروحانيات والوصفات الطبية وغير الطبية .

لم تنس الدكتورة سامية العمودي في كل رسائلها الموجهة لقرائها في عمودها الأسبوعي الثابت الذي تكتبه بجريدة «المدينة» السعودية التي تصدر من جدةأن تنهي مقالتها برسالة حب تحملها لكل امرأة فتقوللها: لا تنسي الفحص المبكر لإكتشافالأورام.

ولم تكتف سامية العمودي بذلك بل تجاوزته إلى حركة دؤوبة ونشاط محموم لايكل ولا يتوقف عن العمل في هذا المجال داخل وخارج المملكة وإستثمرت كل إمكانياتها لمكافحة هذا الداء وذلك من خلال قيامها ومشاركاتها في العمل العام وفي إلقاء المحاضرات وحضور الندوات والمؤتمرات وزيارة المدارس والتجمعات النسائية ومؤسسات المجتمع المدني والتعامل مع القضايا الشاملة المتعلقة بكيفية التعامل مع مرض السرطان، مثل «العلاقة بين العلاج الروحاني والعلاج الطبي الحديث» و«دور الرجل ومعاناته عند إصابة المرأة بالسرطان» وغيرها من القضايا ذات الطابع الاجتماعي والنفسي والإنساني .

كل ذلك يتم في إطار تجربتها الشخصية ورحلتها مع المرض ومعايشتها له كنموذج حي له مصداقيته وتأثيره في تسليط الضوء على هذه القضية الهامة.

تحكي الدكتورة سامية العمودي عن مأساتها وعن بدء ذلك الحدث الهام في حياتها لحظة أن لامست صدرها فأحست بوجود كتلة في الثدي وشعرت من حواسها الطبية ان قضاء الله قد حل وأن مرض سرطان الثدي قد فرض وجوده على الحدث فكتبت تقول :

كانت إصابتي بمرضالسرطان مفاجأة لي ولكل من حولي حيث أنني اكتشفت الورم فجأة وقد وصل حجمه الى أربعةسنتيمترات وقد انتشر الى الغدد الليمفاوية وهذه السرعة في حدوث الأمر كانت أزمة ليولأنني أمر بهذه الازمة أحسست بالحاجة الى أن أخبر إنسانة عزيزة على قلبي هيأستاذتنا وأختنا الكبيرة الدكتورة فاطمة نصيف فكتبت اليها رسالة عبر الفاكس أقولفيها أمر بأزمة صحية كبيرة احتاج فيها إلى الدعاء منك وهي أزمة أراها رسالة حب منالله فاتصلت بي تقول بقدر ما أوجعني خطابك بقدر ما أعجبني قولك أنها رسالة حب منالله فهذه الروح تحتاجينها لتقوية دفاعك ومناعتك حتى تحاربي المرض ثم أردفت هذه ياابنتي عين اصابتك وعليك بالرقية الشرعية.

كانت هذه النصيحة غالية فالعين حقوعنه صلوات الله عليه وسلامه (أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين (ولذلك بدأت أرقي نفسي بنفسي، وقد أصرت بعض الصديقات جزاهن الله عني كل الخير علىموضوع جمع الوضوء والإغتسال به لكنني خفت أن يكون فيه إحراج للناس من حولي فكانردهن لقد فعلها الصحابة فلماذا يغضب الناس ؟ .. وقمن بجمع الماء ممن يرغب ..وهنالابد من التأكيد على قول النبي عليه الصلاة والسلام (اعرضوا علي رقاكم لا بأسبالرقي ما لم يكن فيه شرك) حيث يقوم البعض بحسن نية وبالرغبة الطيبة في المساعدةيقوم البعض ببعض الاجتهادات في الدعاء وغيره. وهنا لابد من الحرص على شروط الرقيةالشرعية بكلام الله والمأثور الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. ففي الأزمات وفيالمرض خاصة ما يقترن عند الناس بالموت مثل السرطان تضعف النفوس ويصبح من السهلوقوعها واستغلالها ببساطة، مثل حالة مريضة سمعتها من الأخ الفاضل الدكتور عدنانمرداد استشاري جراحة الثدي عن مريضة كانت تخضع للعلاج الكيماوي واستجابت له وبقي أنتستكمل العلاج بالجراحة ولكنها اختفت وذهبت للعلاج بالأعشاب وغيرها فكان ان عادتله في حالة متقدمة ومستعصية مما أدى الى وفاتها.

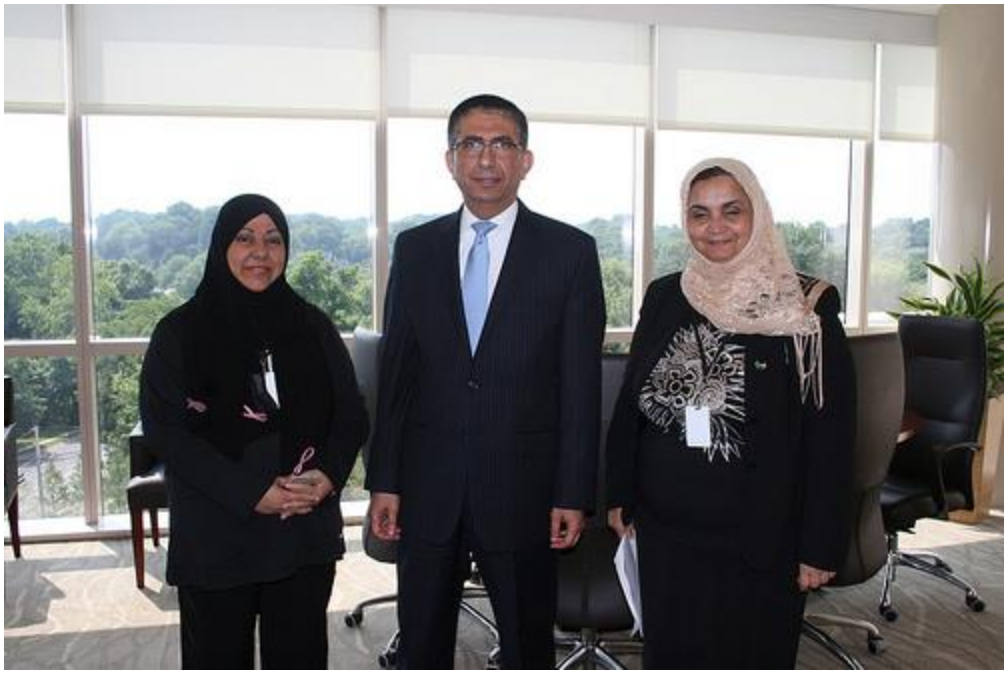

وقد تعرضت في مرضي للكثير ورأيت قناعات شتى منها ما نصحني به البعض من عدم استعمال العلاج الكيماوي والاكتفاءبشرب ماء زمزم.. ونحن شعب لنا قناعاتنا الإيمانية بفضل ماء زمزم بلاشك ابدا لكن ماءزمزم لا يشفي وحده والا لكنا قد قمنا بتصديره الى العالم كله علاجا شافيا لكن ماءزمزم مع القناعة الإيمانية بأن الله هو الشافي وانه أعطانا الوسائل المجتمعة فيبركة ماء زمزم وفي وسائل العلاج الطبية وتلمس الوسائل هذه كلها هي العلاجالحقيقي..

ولن انسى قصة الكرمب الذي اقتنع كثيرون به بعد عرضه في احدىالقنوات الفضائية وكيف ان وضع ورقة الكرمب على الثدي لساعات كفيل بإزالة السرطان .. وآخرون يرون في النت عنوان طبيب هندي يعالج بالطاقة.. وطبيب آخر يتصل بي عارضاالمساعدة ووضعي على نظام غذائي ويصر كل الاصرار على ان هذا النظام وحده كفيل بأنيشفيني ولا داعي للعلاج بالكيماوي .. بل واكثر مرارة من هذا ما سمعته من الدكتور محمودشاهين استشاري العلاج الكيماوي من أن بعض الاعشاب يتم خلطها ببعض العقاقير منالعلاج الكيماوي لتعطي بعض التقلص في حجم الورم ولأن من يقوم بذلك أناس غيرمختصين.. تكون النتيجة عكسية بعد ذلك.. وهكذا تكثر الإجتهادات عن الطب البديلوالتكميلي والغذاء والأعشاب وكل ما يمكن تصوره ..وكثير من هؤلاء يتلمسونالمساعدة بحسن نية ولأن المريض ضعيف فهو يتلمس أي سبيل بل ويخاف ويتبع بعضالنصائح .. ففي بداية مرضي قالت لي احدى الزميلات ان العسل بالذات يعمل على زيادةانتشار اورام الثدي السرطانية ولأن معلومة كهذه مهمة فقد اخافتني وقمت بالبحث عنصحة هذه المعلومة واتصلت بسعادة الدكتور حسان شمسي باشا وهو من له بحوث في هذاالمجال فكان ان تفضل بالبحث واتصل بي بعدها مؤكدا عدم وجود ما يثبت صحة هذا الكلام.

والخلاصة اننا كمرضى ندخل في دوامة كبيرة وبحسن نية تكثر النصائح لذا وجب الإعتمادعلى الثوابت فقط في العلاج كالرقية الشرعية والاستعانة بماء زمزم والحبة السوداء .. ومحاولة عدم الوقوع في المحظور.. ويبقى العلاج الطبي هو الأساس وتركه عن جهل وقلةعلم هو الهلاك الحقيقي ولذا لابد من التأكيد على هذه الأمور.. والله معنا فيالأول وفي الآخر.

كل شيئ كان متاحا وممكنا في رحلة المرض التي واجهتها الطبيبة المسلمة الإنسانة سامية العمودي التي تؤمن أن للروحانيات مناعة وطاقة قد تساعد في العلاج لكنها ليست على أية حال بديلة عن العلاج بالدواء كما أن العلاج

بالدواء ليس بديلا ايضا عن تلك الحالة الروحانية التي تساند النفس في روعها وخوفها .. كل ماهو ممكن كان لابد أن تقوم به وأن تحاوله دون أن تجور أو تفقد ثقتها بأي من البدائل فالموقف عصيب حقا خاصة بالنسبة لطبيب يعرف خطورة المرض وتداعياته ولإمرأة تدرك فداحة تأثير العلاج الكيماوي أو الكيموثيرابي Chemotherapyعلى سقوط شعر المرأة وتأثير فقدان ثديها على الإحساس بإنوثتها غير أن كل ذلك يتضاءل كثيرا بل يتهاوى أمام رهبة الموت ومثوله أمام عيني المريض وفي دخائله إذا ما تطورت الحالة وإستفحلت لا قدر الله .

لكن ذلك لم يفت من عضد المرأة المؤمنة التي تؤمن بقضاء الله وقدره وتدرك أهمية العلم والبحث والمحاولة .. كان لابد أن تبدأ أولى معاركها بالمكاشفة وأن تكسرحاجز الصمت وأن تتجاوز حاجز الخجل الاجتماعي فبدأت بأبنائها وأهلها خاصة أنها زوجة وربة بيت وأم لطفلين (عبد الله ١٠ أعوام، وأسراء ٦ أعوام) ورأت أن التمهيد ضرورة لهم وأن من مسؤوليتها توصيل المعلومة إليهم وتوعيتهم بها كل على قدر عمره فتستثمر بتلك الأزمة فرصتها في بناء شخصياتهم وتحسين قدرتهم على مواجهة المرض والوقوف معها .. أما عن الأهل والأحبة فتقول الدكتورة سامية العمودي : عندما ترى الحب في عيونهم تتمنى لو مرضت كل يوم وعندما تسمع عبارات اليقين منهم تشعر انهم يتحدثون لغة عالمية واحدة تقول لك اصبر فهذا رفع للدرجات عند الله.

لم تنس الدكتورة سامية العمودي موقف الزوج من هذا المرض ودوره في رعاية الزوجة شريكة العمر فتقول بأن الأنثى لها عالمها الخاصالذي تتواصل من خلاله مع رفيق الدرب .. وأن إصابتها بسرطان الثدي يختلف عن أي مرضآخر.. وردة فعل الأزواج تختلف بين زوج وآخر لكن الواقع يثبت أن الغالبية منهم يزدادون تعاطفا وتماسكا برفيقة الدرب وشريكة الحياة .

ودللت الدكتورة سامية على ذلك ببعض التجارب فذكرت بأن زميلة لها أصيبت وهي في فترة الخطوبة فأصر خطيبها على التعجيل بالزفاف خلال ثمان واربعينساعة ليكون معها وبجانبها في رحلة العلاج .. وذكرت على لسان أخرى بأن

رفيق عمرها أصبح اكثر خوفا على مشاعرهاواكثر حناناً وتعاوناً .. كما أكدت بأن الغالبية تفعل دائما مثل ذلك وأن القليلين من الرجال فقط من يرون في مرض الزوجة عبئاً جديداً عليهم أو وسيلةللهروب من مسؤولياتهم أو ذريعة للزواج من غيرهن ..وتقول الدكتورة سامية أن سرطان الثدي يؤثر على المرأة والرجل معاً في كل مناحي الحياة فالحالةالنفسية عند المرأة تختلف بفعل المرض وبفعل العلاج مما يتطلب تفهماً كبيراً بين الأزواج .

لم تنس الدكتورة سامية وهي تنشر رسائل الحب أن تتحدث عن الدعم النفسي لمواجهةالسرطان وذكرت حادثة لسيدة أصابها سرطان الثدي وهي في الأربعين من عمرها.. فذهبت إلى أمريكاللعلاج وهناك قرر الأطباء لها العلاج الكيماوي.. كانزوجها متزوجا بأخرى وخوفا من ردة فعل الزوج على تأثير الكيماوي على شعرها ورموشهاوحواجبها وشكلها العام رفضت المريضة العلاج وعادت إلى جدة ولكن بعد فترة منالزمن انتشر الورم ووصل إلى الرئة ثم إلى الدماغ وانهارت مقاومتها فإضطرت في النهاية لتناول العلاج ولكنها للأسف كان المرض قد بلغ مراحله الأخيرة فلم تقدر عليه .. وتوفاها الله ورحلت عن عالمنا تاركة رسالة تقول فيها انالوضع النفسي لمريضة سرطان الثدي يحتاج إلى وقفة كي نفهم تأثير المرض وتأثيرالعلاج .

وتؤكد الدكتورة سامية على أهمية الدعم النفسي لهذه الحالات فالخوف من الموت يجعل مريض السرطانقلقا خائفا مرتكبا يحتاج إلى من يحتويه ويحتضن آلامه وأن الصراع النفسي قد يصل به إلى رفض العلاج الكيماوي كما فعلت السيدة رحمها الله .. ويعد الدعم العاطفي أول ما تحتاجه المرأة من زوجها حتى تشعر بالأمان .. وكل وسائل الدعم تعد من المهارات التي يتعين على المحيطين بالمريض أهلا وأقاربا وأزواجا التزود بها والتدرب عليها لمساعدة المريض على مواجهة المحنة وتحمل المرض .

على هذا المنوال خاضت الدكتورة سامية العمودي معاركها مع مرض سرطان الثدي فبدأته بالدعم والتهيئة النفسية والإستعداد لمواجهة المرض ثم توالت المعارك بعد ذلك فإستهلت معركتها الثانية بتحدي المرض ومقاومته من أجل الإنتصار عليه أما معركتها الثالثة فقد بدأتها في إطار حملة منظمة لتوعية صغيرات السن من النساء بأهمية الفحص الدوري للكشف عن سرطان الثدي ودق جرس الخطر ولفت الانتباه الى أهمية التوعية بهذا المرض.

ولقد دعت الدكتورة سامية العمودي الى تقصي أسباب انتشار المرض بين النساء السعوديات صغيرات السن بالمملكة بعد أن أثبتت الاحصائيات بأن نسبة المصابات به في هذا العمر تصل الى نحو ٣٠% وأكدت على ضرورة الإكتشاف المبكر للمرض لأنه يُحسِّن من فرص الشفاء بنسبة تصل الى ٩٨% ويتفادى الكثير من الحالات التي يتم اكتشافها في مراحل متقدمة جدا.

تتحدث الدكتورة سامية العمودي عن إحصاءات سرطان الثدي في العالم وفي المملكة فتقول بأن سرطان الثدي يأتي في المرتبة الأولى بين سرطانات النساء في المملكة حيث تبلغ نسبته حوالي ٢٤% من هذه السرطانات .. وتدل الدراسات على أن هناك إضطرادا وتزايدا في أعداد المصابين به من النساء وأنه من المتوقع أن ترتفع النسبة بحلول عام ٢٠٢٥ م الى نحو ٣٥٠% مما يستدعي مع ذلك تكثيف البرامج والإستعداد والتحضير لمواجهة العبء الصحي والإقتصادي المتوقع حدوثهما في الأعوام القادمة.

وتؤكد الدكتورة سامية أن الخوف من التدخل الجراحي وإستئصال الثدي وفقدان عضو يمثل عنوانا للأنوثة عند المرأة يشكل هما أساسيا عند السيدات وأن مواجهة الخوف ضروري في العلاج خصوصا عندما يتبين للمرأة أن إستئصال الثدي لم يعد القاعدة أو الحل وأن التقنيات الحديثة أصبحت تعمل على إستئصال الورم فقط دون الثدي ذاته ولكن لكل حالة وضعها وظروفها ومن ثم فإن الإكتشاف المبكر لهذا المرض سوف يساعد بلا شك على تجنب العمليات الكبيرة والخطيرة ومنها إستئصال الثدي.

وتنصح الدكتورة سامية العمودي بضرورة عمل الفحص السنوي للماموحرام وتطبيقه ليشمل كل من بلغن أربعين عاما من النساء كما تنصح بإجراء الكشوفات الدورية عند الأطباء ضمانا لإكتشافه مبكرا .

ليست لسامية العمودي إستراحة محارب تتوقف عندها فهي مازالت في الميدان تناوش في معاركها هذا المرض اللعين وتتحداه في عيون الصغيرات من المصابات اللاتي إستطاعت أن تتواصل معهن وأن تتمكن من توعيتهن بعد هذا الإنتصار الكبير الذي حققته .

هناك مفارقة ومقارنة بين نوعين من البطولة وكلاهما ضحية أولهما البطل التراجيدي الذي تحدثنا عنه في بداية المقال وهو بطل نبيل يسقط بخطأ تراجيدي تسبب فيه لكن سقطة البطل الذي نتحدث عنه جاءت من كارثة أو مأساة لاذنب له فيها ولاسبب لكنه بدلا من أن يسقط إذا به يقف ليواجه المأساة ويتحداها بل ويساعد الآخرين في تجاوزها .. إنه نوع من البطولة لا يتوفر إلا لقلة من البشر إستطعن أن يقهرن المرض ويستلهمن من تجاربهن ما يعين الأخريات على النجاة منه وهذا مافعلته بالتحديد الدكتورة سامية العمودي فقد أثبتت صلابتها وشجاعتها كإمرأة خلال مواجهتها لهذا المرض وإستمدت من تلك الشجاعة قدرة على تحفيز الشابات وتوعيتهن لتفادي إكتشاف المرض في وقت يتعذر فيه العلاج فإستحقت بذلك وبكل إقتدار جائزة المرأة الشجاعة وهي جائزة تمنح لست سيدات فقط في العالم نظير إنجازهن وما يحققن في المجتمع ولقد أختيرت الدكتورة سامية العمودي من بين ٨٦ إمرأة شجاعة على مستوى العالم ومن بين عشر نساء شجيعات على مستوى الشرق الأوسط لكي تصبح المرأة الشجاعة الأولى على مستوى المملكة.

كما تم اختيار الدكتورة سامية العمودي ضمن قائمة أقوى ١٠٠ شخصية عربية مؤثرة في العالم العربي فإحتلت المرتبة الخامسة عربياً والثانية بعد الأمير الوليد بن طلال في المملكة.

كل ذلك جاء تتويجا للحملة الإعلامية التي قامت بها عبر وسائل الإعلام والمنتديات والمؤتمرات والندوات وقاعات البحث المختلفة التي وجهت إهتمامها وتركيزها إليها وعرفانا بما قدمته من أنشطة توعوية وبرامج تثقيفية للمجتمع ضد مرض سرطان الثدي، في الوقت الذي كانت تصارع فيه هذا المرض وتواجهه بكل إيمان وشجاعة وتجرد .

تعد الدكتورة العمودي من أوائل الطالبات السعوديات اللاتي حصلن على بكالوريوس الطب والجراحة من كلية الطب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٩٨١ ولقد استفادت الجامعة منها فيما بعد بالعمل بعد تخرجها كمعيدة في قسم النساء والولادة بالمستشفى الجامعي، كما عملت وكيلة لكلية الطب والعلوم الطبية بذات الجامعة في العام ١٩٩٠بعد أن حصلت على الزمالة العربية في اختصاص النساء والتوليد من دمشق عام ١٩٨٧.

ولقد شغلت الدكتورة العمودي منصب مستشار غير متفرغ لمنظمة الصحة العالمية وتشغل منصب المدير التنفيذي لمركز الشيخ محمد حسين العمودي للتميز في رعاية سرطان الثدي وعضو اللجنة التنفيذية للمبادرة العالمية في صحة الثدي في الولايات المتحدة الأمريكية، والمشرفة على الكرسي العلمي لأبحاث سرطان الثدي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة. وهي طبيبة استشارية في تخصص النساء والتوليد والعقم، وأستاذة وباحثة مهتمة بالطب الإسلامي وبأخلاقيات المهنة وفضلا عن ذلك فهي طبيبة سعودية ناجية من سرطان الثدي، وناشطة عالمية في مجال مكافحة سرطان الثدي لدى النساء.

د. سامية العمودي لـ«البلاد»:

أعتز بالتكريم وأهديه لسيدات الوطن

عادل بن جبير

د. ساميه العمودي

واشنطن ـ هاتفيا ـ فاطمة الحسيني

أبدت د. سامية محمد عبدالرحمن العمودي سعادتها بتكريمها في وزارة الخارجية الأمريكية واستلامها جائزة الشجاعة النسائية ممثلة لمنطقة الشرقين الأدنى والأوسط لجهودها في مكافحة مرض سرطان الثدي في المملكة. وقالت د. سامية لـ"البلاد" في اتصال هاتفي من واشنطن انني أهدي هذا التكريم لكل سيدات العالم وتحديدا سيدات الوطن. وكانت د. سامية قد استقبلت من قبل الأستاذ عادل أحمد الجبير سفير المملكة في واشنطن تقديرا لها بتشجيع النساء السعوديات على اجراء عمليات الكشف الطبي المبكر. وقد حضرت المناسبة وزيرة الخارجية الأمريكية التي تمنح للمرة الأولى تقديرا لشجاعة وجهود النساء في خدمة مجتمعاتهن ضمن عشر نساء أخريات يمثلن بقية مناطق العالم.. د. سامية قالت عبر "البلاد" انها ستعود للمملكة اليوم الإثنين مقدرة لكل من اتصل بها مهنئا بالجائزة. يذكر أن د. سامية سجلت موقفا بعد إصابتها بسرطان الثدي بالنشر ودعم جهود العلاج.

البلاد ٢٢ صفر ١٤٢٨هـ
١٢ مارس ٢٠٠٧م

To Samia Al-Moudi
With best wishes,

تم التحديث فى (الجمعة, ٢٨ أكتوبر ٢٠١١ ١٥:٣٩)